شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري: الدرس الثاني عشر

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه وصلى الله وسلم على خير خلقه وأنبيائه

فهذا كتاب الفتن من صحيح البخاري

قال غفر الله له ولشيخنا والحاضرين

بَابٌ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُغْبَطَ أَهْلُ القُبُورِ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فقال المؤلف رحمه الله : بَابُ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُغْبَطَ أَهْلُ القُبُورِ يعني حتى يتمنى المسلم أن يكون مكانَهم وذلك لاشتداد الفتن وَتَغَيُّر الزمان وقد جاء عن العرباض بن سارية عند أحمد وأصحاب السُنَن : ((فإنَّهُ مَن يعِشْ منْكم بعدي فسيَرى اختِلافًا كثيرًا...)) وفي رواية ((...فسيرى اختلافًا شديدًا...)) وهذا الاختلاف يعني تَغَيُّر الحال وَتَقَلُّب الزمان حتى يكون الشرك توحيدًا والبدعة سنة والمحرم حلالًا والضلال هدىً إلى غير ذلك من أوجه التَغَيُّر وَالتَقَلُّب فيَشْتَدُّ الأمر على أهل الإيمان وقد جاء عند مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال: ((بدأ الإسلامُ غريبًا وسيعودُ غريبًا كما بدأ فطُوبى للغرباءِ)) يعني أن الإسلام بدأ غريبًا على قِلَةٍ وضعفٍ بين أهل الشرك وسيكونُ كذلك في آخر الزمان حتى أن الرجل يَمُرُّ بالقبر ويَتَمَرَّغُ عليه ويقول يا ليتني مكانه.

أحسن الله إليكم شيخنا.

قال: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قال: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ))

وليس في هذا دليلٌ على جواز تمني الموت فإنه قد جاء في الصحيحين: ((لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أصابه، فإنْ كانَ لا بُدَّ قائلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي،وتَوَفَّنِي ما كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي.)) وذلك أن المؤمن إذا طال عمره فإنه يزداد من العمل الصالح وقد جاء عند أصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: ((خيرُكم مَن طالَ عمرُهُ ، وحَسنَ عملُهُ.)) وقد جاء أيضًا عند الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: ((ما من أحدٍ يموتُ إلَّا

ندِمَ إن كانَ محسِنًا ندِمَ أن لا يَكونَ قد ازدادَ من الإحسان وإن كانَ مسيئًا ندِمَ أن لا يَكونَ قد استعتب.)) يعني طلب التوبة؛ ولهذا فالفتن التي تكون في آخر الزمان لها حكمةٌ عظيمة منها التمييز بين المؤمنين وغيرهم كما قال الله عز وجل : ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ.... ﴾ [الأنفال:٣٧]،ومنها حصول الاختبار والابتلاء للمؤمنين وما يترتب على ذلك من رفع الدرجات وتكفير السيئات وتكثير الحسنات ومنها تحقيق حصول المُدافَعَة بين الباطل والحق فإنه لا يزال الأمر قائمًا على المُدافَعَة بين الحق والباطل إلى قيام الساعة :﴿...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ.... ﴾ [الحج:٤٠]،

أحسن الله إليكم شيخنا.

بَابُ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ

بَابُ تَغيرِ الزَّمَانِ حَتَّى تُعْبَدَ الأَوْثَانُ مضى معنا في أول الدرس في أول درسٍ من هذا الكتاب أن المراد بالفتن تغير الزمان وتقلب الأحوال ومن تغير الزمان أن يصل الأمر إلى عبادة الأوثان وقد جاء هذا في أحاديث فقد جاء في مسلم أن النبي ﷺ قال: ((وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينِ ولا تقوم الساعة حتى تُعبد الأوثان)) وقد جاء أيضًا في الصحيح : ((لا تقومُ الساعةُ حتى تُعبدَ اللَّاتُ والعُزَّى)) ومعنا في هذا الباب: ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ)) وهو صَنَم وعبادة الأوثان رجعت في هذه الأُمَّة وظهرت مع ظهور الفرق الباطنية ودُوَلِها من القرن الثالث الهجري وما بعده إلى زماننا هذا فالمقصود أن تغير الأحوال في آخر الزمان يصل إلى أن يُعبَدَ غيرُ الله تعالى وما يقوله بعض الناس من أنه لا يُتَصَوَّر في العصر الحاضر عبادة الأصنام وأن تقدم الناس وفي مجال التقنية والصناعة أنه يمتَنِعُ عليه وقوع عبادة الأصنام هذا ينفيه الواقع فإن الواقع يشهد بأن طائفة من البشر يعبدون الشجر ويعبدون الحجر ويعبدون الشمس ويعبدون القمر ويعبدون البشر إلى غيره.

أحسن الله إليكم شيخنا.

قال: حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ))- ألِيات مفردها ألية وهي المُؤَخِرة نساء دوس دوس قبيلة عربية معروفة عند ذي الخلصة بيتٌ لصنم كان يُعبَدُ في الجاهلية وقد بعث النبي ﷺ من يهدمه ولما قامت الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب هُدِمَ هذا الصنم فإنه كان يُعبَدُ في زمن الشيخ رحمه الله وبَقِيَت منه آثار ثم أمر الملك عبد

العزيز رحمه الله أميرَه على تلك الناحية بهدم ما تبقى منه - **وَذُو الخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ "**

طاغية المراد به الطاغوت وهو كل ما عُبِدَ من دون الله.

حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قال: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ ثَوْرٍ عَنْ أَبِي الغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ))

هذا الحديث أورده المؤلف في باب تغير الزمان والمراد به أن تغير الزمان ليس مُقْتَصِرًا على باب العقيدة فقط أو باب العبادة فقط وإنما حتى فيما يَخُصُّ معايش الناس وأُمورَهُم فإن الأمر جرى من عهد النبي ﷺ وما بعد ذلك مرورًا بالخلافة الأُمَوِيَة والخلافة العباسية أن الإمامة كانت في قريش وقد جاء في الحديث: **((الأئمة من قريش))** ثم تغير الحال بعد ذلك فكانت الإمامة في غيرهم وهذا الحديث فيه أن الإمامة أو الخلافة ستَؤول إلى هذا الرجل والمراد بأنه يسوق الناس بعصاه يعني أنه يَتَغَلَّبُ عليهم ويحكمهم بالغَلَبَة وقيل إن المراد ما يدل عليه ظاهر الحديث وأنه يحكمهم بالشدةِ والقَسْوَة فيَسوسُهم بعصاه.

أحسن الله إليكم شيخنا.

بَابُ خُرُوجِ النَّارِ

وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ))

هذه النار هي أحد أشراط الساعة الكبرى وهي نارٌ تخرج من قَعْرِ عَدَن كما في بعض روايات الحديث تَسُوقُ الناس إلى مَحْشَرِهم وهناك نارٌ أخرى جاءت أيضًا في الصحيح أنها**((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى))** وهذا من أعلام نبوته ﷺ فإن هذه النار خرجت سنة ستمئة وأربَعٍ وخمسين من الهجرة خرجت من المدينة واستمرت أَشْهُرَ ورُئِيَت في الشام وبُصرى بلدةٌ من بلدة في الشام وهذه النار وصفها وذكرها المُؤَرِّخون الذين أدركوها.

أحسن الله إليكم شيخنا.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى))

نعم وهذه النار خرجت سنة ستمئة وأربَعٍ وخمسين وذكرها غير واحد كابن كثير والنووي في شرحه على صحيح مسلم وغيرهما.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الكِنْدِيُّ قال: حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ جَدِّهِ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا)) - هذا في أشراط الساعة الصغرى التي لم تظهر بعد يُوشِكُ أَنْ يَنْحَسِرَ نهر الفُرَاتُ وهو نهرٌ في العراق عَنْ كَنْزٍ وفي رواية ((...عن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ...))، فيقتتل الناس عليه؛ ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ((... فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا)) لأنه ستَحْصُلُ عنده مَقْتَلَةٌ عظيمة وقد جاء في مسلم: أنه ((... يموت من كل مئةٍ تسعةٌ وتسعون)) في الاقتتال عند هذا الجبل الذي ينحسر عنه نهر الفرات وهذا يأخذ منه المسلم قاعدة وفيها السلامة لدينه وهو أنه إذا رأى الناس يتنافسون على الدنيا ويتقاتلون عليها فإن المؤمن المُتَعَلِّق بالله الراغب في الآخرة المُتَطَلِّعُ إلى ما عنده الذي امتلأ قلبه رضًى وقناعة فإنه لا يُزاحِمُ الناس على دنياهم ولا يقاتلهم عليها فإنه إن كان كذلك فإنه يَسْلَمُ منهم ويسلم له دينه؛ ولهذا جاء في الحديث: ((ازهدْ في الدنيا يُحبُّك اللهُ- هذا في سلامة الدين- وازهدْ فيما في أيدي الناسِ يُحبُّك الناسُ))؛ ولهذا المؤمن إذا أراد السلامة في دينه والسلامة من الناس فإنه يتعلق بالآخرة وإذا تعلق بالآخرة امتلأ قلبُه قناعةً ورضى وصار نَظَرُهُ إلى ما عند الله عز وجل مع إدراكه لحقيقة الدنيا وأنها لا تستحق الاقتتال عليها ولا المنافسة فيها فلا ينافس أهل الدنيا في دنياهم ولا يقاتلهم عليها وإنما العبرة بأن ينافس أهل الآخرة في تحصيل ما يقربه إلى ربه ويُدنيه من خالقه.

أحسن الله إليكم شيخنا

قَالَ عُقْبَةُ: وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ قال: حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: ((يَحْسِرُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ))

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ شُعْبَةَ قال: حَدَّثَنَا مَعْبَدٌ قال: سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((تَصَدَّقُوا فَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا)) قَالَ مُسَدَّدٌ: حَارِثَةُ أَخُو عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ لِأُمِّهِ قَالَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.

هذا الحديث فيه المبادرة للعمل الصالح تَصَدَّقُوا فالمؤمن يسابق إلى الخير ويَتَعَجَّل الطاعات ويبادر إلى الباقيات الصالحات فإنه لا يدري ما يَعْرِضُ له من عجزٍ أو ضعفٍ أو موتٍ أو نحوها من الآفات فإنه كما أخبر النبي ﷺ في آخر الزمان يطوف الرجل بصدقته والأصل أن الفقير هو الذي يبحث عن الصدقة لكن في آخر الزمان الغني يطوف بصدقته فلا يجد من يأخذها منه. وقد اختلف شُرَّاح الحديث في معنى هذا الحديث لكنَّ الأقرب أنه

يفسره ما جاء في مسلم أنه يكثُر المال ويَفِيض فيكثر الغِنَى ويكثر المال فلا يحتاج الناس إلى الصدقة، وهل هذا من الفتن؟ نعم. فإن من الفتن أن يُوَسَّع على الناس في دنياهم ثم يقعوا في التَّرَف والتَّنَعُم و التَّرَف والتَّنَعُم من أسباب الإعراض عن الطاعة والتكاسُل عن الخير وقلة الإقبال والطمَع فيما عند الله عز وجل فإن الناس يَرْكَنون إلى هذه الدنيا عند حصول النعم ولهذا فمن صور الفتن التي تكون في آخر الزمان ما يُفتَح على الناس من الدنيا وقد جاء في الصحيح: **((ما الفَقْرَ أخْشَى علَيْكُم، ولَكِن أخْشَى أنْ تُفتَح عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كما فُتِحَت علَى مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، فتُهْلِكَكُمْ كما أهْلَكَتْهُمْ))** وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.